الليلة الثانية بعد الألف

سهرة المليونير

قصة عصرية على طراز ألف ليلة وليلة

للأستاذ محمد علي غريب

فلما كانت الليلة الثانية بعد الألف قالت شهر زاد : سأقص عليك أيها الملك السعيد قصة سهرة المليونير ، قال الملك شهريار :

— ومن هو المليونير يا شهر زاد ! أهو ملك قبيلة في الجان ، أم تاجر لؤلؤ في جزائر واق الواق ؟ !

وتبسمت شهر زاد فكشفت عن أسنان كأنها الدر المنظوم ، ثم قالت : لا هذا ولا ذاك أيها الملك السعيد ، فالمليونير هو صاحب مليون من الدنانير فأكثر

— مليون من الدنانير ! ما هذه الأعاجيب أيتها الجارية ! وكم هو عدد المليون ؟

— يعني ألف ألف دينار يا مولاي . كل من ملك ألف ألف عد مليونيراً . ولنبدأ القصة من أولها . فقد زعموا أنه كان في مصر شاب اسمه الشاطر « ممدوح » توفي والداه في حادث قطار بخاري و . . .

— قطار بخاري ! ما هذا الكلام المبهم !

— القطار البخاري يا مولاي مركبات تقودها آلة ، وهذه الآلة تتحرك بقوة البخار وتأكل الفحم ، ويسمع لها دوي هائل وهي تسير ؛ فإذا تعرض لها أحد سحقته سحقاً . وقد وقع لأبوي الشاطر « ممدوح » ذلك فأكلهما القطار البخاري كأنهما قطعتان من الفحم

— وهل القطار البخاري يا شهر زاد منسوب إلى بخارى ، وهل تجره خيول أم بغال ؟

— كلا يا مولاي إنه منسوب إلى البخار : بخار الماء حين يغلي ، ولا تجره خيول ولا بغال ، ولكنه يسير على قضب من حديد . ولنعد إلى الشاطر « ممدوح » فقد أصبح وحيداً في هذه الدنيا حتى عثرت به سائحة أمريكية

ممتازة في نحو خمسمائة صفحة في كل صفحة عمودان ، وأسماء الكتب في أوائل السطور ويحققه جماعة من الاختصاصيين .

أحمد صفوت

القاموس السياسي

في الوقت الذي زخرت فيه الصحف بالمباحث السياسية ، واتصلت فيه الحوادث اتصالاً سريعاً بما قبلها من نقط للتاريخ الفاصلة ، ومعاهدات الأمم ومواثيقها ، وأسماء الكبار من الساسة ، وحركات المذاهب المتوازية والمتعارضة ، أصدر باحث مصري مدقق « قاموساً سياسياً » يكون في هذا الظرف ، وفي كل الظروف بالطبع ، رائد المهتمين بهذه الشئون والمباحث ، ومعيناً لهم على اختصار الوقت ، وضبط المعلومات ، وإدراك الغاية مما يلتمسون البحث عنه في غيابة المراجع العربية أو في تيه المصادر الأجنبية

فالقاموس السياسي قد أخذ محله كما أراد له الأستاذ أحمد عطية الله في صدر المكتبة العربية ، أو في « جيب » صدارها كما يقول أصدقاؤه ، وأصبح بداية طيبة في تاريخ هذه المكتبة لنظم الكثير الصالح من أمثال هذا المعجم في كثير من الأغراض والأبواب

ولسنا نغمط الأستاذ عطية الله حقه إذا قلنا إن هذا القاموس الذي أصدره وإن يكن قد صار اليوم مرجعاً سريعاً للباحث أو القارئ ، إذا ما اعترض أحدهما شأن من الشئون العامة ، فإن افتقاره إلى زيادة العناية بالشئون العربية ، وإلقاء الضوء على الكثير من تلك الروابط القوية التي تجمعها وتحركها يجعل من حق الذين قدروا جهده في هذا السبيل أن يلفتوا نظره إلى تلافي هذا النقص عند إعادة الطبع إن شاء الله

ويبدو أن شبهة عدم الانسجام في (الشئون العربية) في القاموس ظاهرة أيضاً في بعض ما تناوله من المسائل الدولية والأوربية . على أنه ليس من شك مطلقاً في أن مثل هذه الشوائب في كتاب يصدر في مثل هذا الظرف ، لتنفي به المكتبة العربية في مثل هذا الباب — كانت متوقعة لأي كاتب ، وذلك لحداثة التأليف في هذا الموضوع وقلة المراجع ، وصعوبة الحصول عليها . فهذا العمل الذي قام به الأستاذ عطية الله سيظل مشكوراً على كل حال

(أ . ص)

— تقولين أمريكية ! من أى بلاد هى يا شهر زاد ؟

— أمريكا يا مولاى بلاد بعيدة يسكنها الكفار ، وظلت مجهولة حتى عثر عليها رجل اسمه (خريستوف كولمبس) ، وهو كافر أيضاً . وقيل إن العرب كشفوا عنها قبله بدليل وجود مسلمين توطنوا هذه البلاد فى جزر (الفلبين)

وقد ربته هذه السائحة أحسن تربية ، ثم سافرت فأخذته معها إلى أمريكا ، وهناك أيفع واستوى ، فلما ماتت الأمريكية أوصت له بجميع أموالها إذا لم يكن لها أهل يرثونها

— وتوفر الشاطر ممدوح على تنمية ثروته ، فساهم فى صناعة (الأتومبيلات) ، وكان هو الذى أعان مخترع (للفنوغراف) على إتمام اختراعه ، وأنشأ محطة للراديو و ...

— حسبك أيتها الجارية ! ما هذه الرطانة التى تذهب العقل ؟

— الأوتومبيل يا مولاى سيارة تجرى بقوة النفط المكرر

— وحدها ! ؟

— وحدها ... كالقطار البخارى تماماً ، ولكنها لا تسير على قضب من حديد . والفنوغراف صندوق يوضع فيه قرص من الشمع الأسود المنقوش ، وهناك إبرة ممغنطة تدور حول القرص فتسمع الصوت الذى سجل ، فإما غناء وإما موسيقى وإما حديثاً يروى . والراديو آلة تلتقط الأصوات من مكان بعيد ، فلو كان هنا راديو لأمكنك أن تسمع الهمس الذى يدور فى القصر المسحور ، وراء السبعة بحور

— إن كان هذا من صنع الجن فلا غرابة

— كلا يا مولاى ! لم تعد للجن هذه القدرة على الخلق والإبداع ، وملك الجان نفسه أصبح عاجزاً عن أن يكون شيئاً إلى جانب أى عالم من أولئك العلماء المخترعين

— تقولين العلماء ؟ أهؤلاء المخترعون رجال فقه ولغة ودين ؟

— حاشاك الخطأ يا مولاى . فالعلم فى هذا العصر الذى أحدثك عنه لم يعد وقفاً على ذوى اللحى والعمائم ، ولكنه أصبح عنواناً على غيرهم ... حتى أولئك الكفار ! ولنعد إلى الشاطر ممدوح فبعد أن اغتنى وأضحى ذا ثروة طائلة ، تذكر وهو فى بلاد الغربة أن له أختاً تكفل بها أحد أقاربه ولم يكن يعرف عنها شيئاً ؛ فلما طغت عليه موجة الذكريات أنشأ يترنم بهذه الأبيات :

أذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

واذكروا صباً إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا

ثم فاضت دموعه حتى أصبحت كالأنهار ... وأخيراً قرر أن يسافر إلى مصر فأعد عدته وركب الباخرة

قال الملك :

— وما هى الباخرة يا شهر زاد ؟ أهى القطار البخارى ؟

— قالت شهر زاد :

— أجل يا مولاى ... قطار بخارى يسير فى الماء ويتسع لمئات من الراكبين دون قلوع ولا مجاذيف . وقد اختار الشاطر ممدوح جناحاً له فى الباخرة على أفخم ما يكون من الروعة والجمال ؛ فلما وصل إلى مصر ذهب إلى فندق « الكونتنتال »

— قولها مرة أخرى ! يخيل إلى أنها رطانة يا شهر زاد !

— الكونتنتال يا مولاى ! اسم خان ولكنه فخم كأنه بيت وزير من الوزراء ، وينزل فيه الملوك والأمراء والعظماء ، وتملكه شركة من الأجانب يعرفون كيف يستغلون خيرات مصر دون أهلها الفقراء . وقد نزل الشاطر ممدوح فى هذا الفندق وتقاطر عليه مندوبو الصحف من كل مكان

قال الملك :

— مندوبو الصحف ! وما هى الصحف يا شهر زاد ؟!

قالت شهر زاد :

— هى جرائد يا مولاى تطبع كل يوم حاملة الأنباء والمعلومات والطرائف ؛ أما كيف تطبع فقد اخترعوا آلة لطباعة الكلمات

— عجباً يا شهر زاد ؟ كأننى أستمع إلى أقصوصة عن الجان !

— حاشاك يا مولاى ! فالإنسانية فى هذه الأيام التى أحدثك عنها تقدمت ، والعقل البشرى نضج فأصبح مخترعاً ، ولكنه لم ينج من الجمع بين الخير والشر فى اختراعه

— وكيف كان ذلك

— لقد اخترعوا كل ما يضمن أسباب الراحة والهناءة للانسان ، ولكنهم اخترعوا كذلك المدمرات المهلكات ... فإن قنبلة فى حجم الكف قادرة على أن تدمر بناء من عشرين دوراً . وهناك غازات سامة ما يكاد الإنسان يستنشقها حتى يموت ، وقذائف من كل صنف تحملها الطائرات فى الجو والسابحات فى البحر

— وى ! كأنى أسمع عما يحدث فى يوم القيامة ...

— هذا هو الواقع يا مولاى . فالمدنية التى استحدثها الفرنجة تحمل عناصر هدمها ... ولنعد إلى الشاطر ممدوح فإنه لم يكد يستقر به المقام حتى بث العيون والأرصاد تفتش له عن أخته التى تركها صغيرة

وبعد أيام عاد إليه عين من عيونه التى أطلقها يقول ...

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* * *

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الألف قالت شهرزاد : بلغنى أيها الملك السعيد أن عيناً من عيون الشاطر ممدوح عاد إليه يقول : إنه عرف مكان أخته « نفيسة » ، ولكنه يعتذر عن التفوه بكلمة مما بلغه عنها

وعندئذ غضب الشاطر ممدوح واشتد غيظه ، فأمسك بالجاسوس من رقبته يريد أن يخنقه قائلاً :

— إن لم تقل لى — أيها الكلب — ما هنالك قذفت بك من النافذة ... !

وخاف الجاسوس على حياته عندما رأى روح الشر فى المليونير فوعده بأن يقول . ثم راح يتحدث قائلاً : إنه لم يصر على الصمت إلا رغبة منه فى عدم إزعاج الشاطر ممدوح ، فإن أخته بعد وفاة والديها ، تولى تربيتها أحد أقربائها ، وقد ظلت فى كفالته خمس سنوات ذاقت فيها الويل والعذاب من زوج قريبها التى كانت تضربها لأتفه الأسباب ... وأخيراً ، هربت من ذلك الجحيم ، سارت على وجهها حتى لقيها ذئب بشرى ... فاختطفها وراح يعلمها السرقة ، وهى صغيرة لا تكاد تميز ... ثم كبرت ونضجت أنوثتها ... فتزوجت أفاقاً راحا معاً يغامران فى الحياة ويتظاهران بالوجاهة والأناقة ...

وبعد أن سمع الشاطر ممدوح هذه المعلومات استغرق فى سبات عميق ... ثم انهمرت دموعه على خديه ، وأصبح كالمجنون لا يستقر على حال . وأخيراً فكر فى طريقة ، قدعا إلى مأدبة ساهرة ، وما حل موعدها حتى كانت الموائد قد نسقت ، وأقداح الشراب قد اعتدت ... شراب : الكونياك والويسكى والشمبانيا والبيرة وما هنالك من أصناف ...

قال الملك :

— ما هذه الأسماء يا شهر زاد ؟

— أسماء لأشربة يا مولاى اخترعها الفرنجة للخمر وكلها مسكر والعياذ بالله . ثم زين مكان الحفلة بالثريات الكهربائية ، والأوراق الملونة ، ووقف الخدم فى ثيابهم الزاهية ... وما حان الموعد حتى توافد المدعوون من كل جانب فى ثياب السهرة ... وكانت السيدات متزينات بالحلى ، وقد كشفت كل واحدة عن مفاتنها ، فبدا جسدها العارى وصدرها المكتنز ...

قال الملك :

— أمام الناس !

— أجل يا مولاى أمام الناس ، فما من ضير فى هذا بعد أن شاع السفور وتواضع الناس على اختلاط الجنسين ، وحتى المصريات كن بهذه الأزياء . ثم دار الرقص فتخاصر الجنسان كل رجل مع سيدة يرقصان « الرومبا » و « الفوكس تروت »

قال الملك :

— عجب ! ... وهل يرقص الرجال !

فأجابت شهرزاد :

— نعم ! ... إنهم يرقصون طوعاً للمدنية الحديثة التى ترى فى الرقص نوعاً من أنواع الرياضة

وعندئذ أشار الجاسوس للشاطر ممدوح على سيدة ومعها رجل يرقصان . وقال له :

— هذه أختك ... والذى معها هو زوجها وهو أكبر محتال فى الوجود

واقترب ممدوح من أخته ، وفجأة أطفئت الأنوار ، وبعد قليل أضيئت ، وتفقد سيدات كثيرات حليهن فلم يجدنها ، وكان ممدوح قد رأى أخته وهى تخفى فى حقيبة يدها حلياً ، فحار فى أمره . لا بد أن تفتش ، ولابد أن تظهر أنها السارقة ، فهل ينقذها . ويعمل على خلاصها لأنها أخته ، أم يتركها تفضح دون أن يكشف لها عن حقيقة نفسه !

تنازعته عواطف مختلفة وتآمرت عليه الانفعالات الشديدة هل ينقذها ؟ هل يتركها ؟ هذان هما السؤالان البارزان فى رأسه ؟ وأخيراً راح يعمل على تنفيذ أحد الاقتراحين اللذين عرضا فى ذهنه

وأدرك شهر زاد الصباح فسكت عن الكلام المباح .

محمد على غريب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)